طلقة (٢٦)

(بين ثلوج موسكو)

أمتار قليلة بين الجاني والمجني عليه !

في المركز الطبي العالمي قضى الفريق الشاذلي أيامه الأخيرة، وهو لا يعرف أن أمتاراً قليلة سوف تفصله عن مبارك عندما يحل ضيفاً على المركز أثناء محاكمته في قضية قتل المتظاهرين التي حصل فيها على المؤبد، وكان قبلها يعيش في شرم الشيخ بعيداً عن المناطق المشتعلة بالغضب والتي تنادي في أغلب ميادين مصر بالقصاص منه ومن نظامه.

على غير موعد أو ترتيب وبفارق زمني بسيط جمع المركز العالمي على طريق مصر الإسماعيلية المختلفين، الشاذلي الذي اختار أن يكون عسكرياً صادقاً ووطنياً وعربياً إلى آخر المدى مهما كلفه ذلك من تضحيات ومواجع وخسارة خاصة، وبين الذي ارتضى بالسلطة والصولجان حتى لو كان الثمن أن يدوس على أبطال وقيم ومواثيق، وكيف لا وهو الذي انبهر مبكراً بكل ما هو أميركاني وبالتالي بالصداقة مع إسرائيل على حساب شهداء غزة وضحايا الجبروت الصهيوني، بينما اتجهت بوصلة العداء المبالغ فيه نحو ايران بحجة الخوف من التشيع أو الهيمنة، وقبل أن يدخل في مرضه الأخير، كان يصلي الجمعة في أحد المساجد القريبة من بيته ويلتقي مع قادة قدامى أصابهم التجاهل والنسيان وأهملهم الإعلام على حساب محاسيب مبارك ونظامه وكان يقول لهم بابتسامته الشهيرة:

- يا أولاد لقد فعلنا ما فعلناه ليس من أجل الإعلام ولا من أجل التاريخ ولكن ابتغاءاً لوجه الله، وهو وحده سبحانه الذي يعلم النوايا وما تخفي الصدور وسيحاسب كل انسان على عمله ويجب أن نبتهل إلى الله أن يتقبل منا ولا تخشوا شيئاً وسيأتي اليوم الذي تظهر فيه الحقيقة سواء كنا في دار الفناء أو دار البقاء ولا تنسوا أن الملك رمسيس قام بحذف آثار كل من سبقوه ونسب كل شيء إلى نفسه فقط وبعد آلاف السنين عاد الحق إلى أهله والحق أحق أن يُتبع.

وفي بيته وخلال زيارة قمت بها للأسرة، في حضور ابنتيه سامية وناهد وزوجها والحفيدين طارق وكريم قالت لي زوجة الفريق السيدة زينات:

- عندما يسألني صحافي من أين أتي الشاذلي بهذه النظرة البعيدة التي يستطيع بها تحليل أمور السياسة كأنه أحد رجالها، ثم يتحدث في العسكرية وتاريخه فيها يتحدث عن نفسه، كانت اجابته: لابد للانسان في كل موقع أن يتسلح بالمعرفة، وهي التي تحقق له أن يتخذ القرار الصائب، لقد كنا نعاني خاصة في حرب عام ١٩٦٧ من العشوائية في اتخاذ القرارات بدون دراسة أو علم أو تخطيط، ولما أدركنا ذلك وبدأنا نصحح هذا المفهوم كان لنا النصر في أكتوبر.

وتضيف السيدة زينات:

كان الفريق الشاذلي لا يبخل بوقته في القراءة ومهما كانت مشاغله فهو يحرص على متابعة كل ما ينشر هنا وهناك في مجالات المعرفة المختلفة لذلك أجاد عدة لغات ساهمت في تعمقه ثقافياً ومتابعة الأحداث العالمية من منابعها، وقد استثمر فترة سجنه وقرأ القرآن الكريم وختمه ثلاث مرات وحفظ الكثير منه، وتدينه هذا جعله لا يتنازل عن حقه ولا يفرط فيه، واذا كان خلافه مع السادات كما يراه البعض هو خلاف بين قائد سياسي وقائد عسكري وهذا صحيح، لكن الأصح أن القرار في يد رئيس الدولة لكن وجهة النظر السياسية ليست حكراً على الرئيس، وفي النظم الديمقراطية تتدخل المؤسسات المختلفة حسب تخصصها، وأكثر ما كان يزعجه الكذب ومغالطة الواقع والخصومة غير الشريفة بحيث تظهر أمامه بوجه ومن خلفه بوجه آخر مختلف تماماً وقد عانى من ذلك كثيراً، وكان يعرف ويردد أمامنا أن الانسان مهما أخذ من الدنيا لن يأخذ معه الا عمله الصادق والنافع للناس.

وكان الشاذلي قد أجرى حواراً مطولاً مع صحافي جزائري انتهز فرصة وجوده في طرابلس (أكتوبر ١٩٨١) وكان وقتها قد شكل ما يسمى بالجبهة الوطنية وكان حسني مبارك في مستهل ولايته وبعد أيام من رحيل السادات وقيمة الحوار وأهميته انه يكشف عبقرية الرجل وثوريته التي لم تتوقف يوماً، فقد كان مصرياً عربياً حتى

النخاع، وفي البداية سأله مالك علي:

من هي الأطراف المشاركة في الجبهة الوطنية؟ وما هو برنامج الحد الأدنى الذي تتفق عليه اليوم القوى المشاركة في الجبهة. واستطراداً: هل جميع الأطراف متفقة على قيادتكم اليوم وفي المستقبل، والعلاقة مع الإخوان المسلمين اذا كانت موجودة، فهل تتخذ طابع التنسيق؟

فيما يتعلق بالقوى الأساسية داخل الجبهة، فهي كما أعلنا في ميثاق الجبهة في ٢٧ مارس في دمشق: خمسة تيارات رئيسية هي: التيار الديني والتيار الناصري والتجمع الوطني المصري في الخارج والمستقلون والماركسيون، هذه هي القوى الرئيسية التي كانت موجودة في الجبهة عند تشكيلها، وهذه هي القوى المنضمة تنظيمياً إلى الجبهة، والتي تتكون منها القيادات في الجبهة، ولكن هناك قوى أخرى تعتبر من القوى المؤيدة للجبهة وان كان ليس لها وجود تنظيمي داخل الجبهة، هذا فيما يتعلق بالداخل.

أما الجزء الثاني من السؤال حول ما يتعلق بالإخوان المسلمين كقوة سياسية فلا يوجد أي ارتباط تنظيمي بين التيار الديني الموجود داخل الجبهة والإخوان المسلمين كحركة سياسية.

** ما موقفكم من النظام المصري بعد ذهاب السادات؟ هل يمكن التعاون مع النظام الجديد، وبأية شروط، ولأي مدى؟

* الخلاف بيننا وبين السادات لم يكن خلافاً شخصياً، لقد كان الخلاف بيننا وبين السادات كنظام وكرمز لنظام معين، نظام ديكتاتوري يفرض ما يريد على الشعب ويصدر القوانين التي يريد ويرفع شعار سيادة القانون، ولكن هذه القوانين هي قوانين ظالمة وكان شعار السادات تقنين الظلم، ولو قرأ المرء ما قام به السادات وقارن بينه وبين سالازار يجد تطابقاً شديداً، لأن سالازار في البرتغال

كان يقتص من القوانين ويعاقب كل واحد بحجة مخالفة القوانين في كل الميادين، والسادات يقوم بنفس العملية، وفي القرن الماضي كانت هناك قوانين تقنن الرق، فهل معنى هذا اننا يجب أن نأخذ بهذه القوانين؟، كلا!، لأن هذه القوانين تتعارض مع وثيقة حقوق الانسان التي وافقت عليها الأمم المتحدة، ووافقت عليها مصر، وتعتبر مصر لذلك ملتزمة بها، وأية قوانين تصدرها مصر أو أي بلد آخر تتعارض مع هذه المبادئ تعتبر ظالمة ولا يجوز الاعتراف بها، نحن اذن ضد هذا النظام الذي يسن القوانين كما يشاء، فالسادات تجاوز كل ذلك عندما أصدر قانون العيب، وهذا القانون غريب جداً لم يحدث قبل ذلك وليس له سابقة في التاريخ، وكلمة العيب هذه كلمة واسعة، والسادات كان يقول دولة العلم والايمان فكيف يقول بذلك، كان يستخدم هذا القانون ضد كل من يعارضه.

إذن، لم تكن هناك خلافات شخصية بيننا وبين السادات، بل أن الخلاف كان بيننا وبين النظام القمعي الذي نريد أن نسقطه نتخلص منه، فعندما جاء حسني مبارك حاولنا أن نفتح له الباب ونعطيه الفرصة، نحن نعلم أن النظام الديموقراطي يمنحه سلطات ضعيفة ومحدودة ويكون مضطراً - لكي يواصل العيش - أن يوافق على ارساء ما ليس مضطلعاً به، فأعلنا في البيان رقم ٢ اننا لا نعتبر حسني مبارك مسؤولاً عن جميع الأخطاء لنفتح أمامه الباب ليستغل هذه الفرصة ويصحح المسار فما كان منه الا أن أعلن انه سيسير على درب السادات في كذا وكذا، وكأن السادات لم يمت، وفي حديث أجراه مبارك مع النيوزويك قال لهم حول سؤال عن أفكاره الجديدة والمستقبلية أن ليس له أي أفكار بل سيتابع نفس أفكار السادات وتصور السادات، اذن السادات لم يمت، وهو يعيش اليوم في حسني مبارك، وهنا نختلف مع حسني مبارك، ولابد اننا سنصطدم بالنظام ونعتبره نظاماً فاشياً يسير على نفس أسلوب السادات.

أقول هذا وأضيف انه في أي وقت يتخذ فيه حسني مبارك خطوة ايجابية

فسنكون أول المهنئين بذلك مثل الافراج عن المعتقلين وانهاء قانون الطوارئ وتجميد القوانين الظنية، وهذه خطوة نحو الديمقراطية التي نريدها، نحن نريد حكماً ديموقراطياً سليماً أساسه الجمهورية البرلمانية، حيث لا يتمتع رئيس الجمهورية بأي سلطات سياسية أو بسلطات بسيطة جداً، وتبقى السلطة الحقيقية في يد البرلمان، ويجب طبعاً تعديل الدستور، لأن الدستور المصري كما هو حالياً يجعل من أي مصري ديكتاتوراً لأنه يمنح الحاكم، أي رئيس الجمهورية، سلطات واسعة تجعله ديكتاتوراً حتى لو لم يكن يريد ذلك، خاصة بعد التفاف المنافقين حوله والتأثير عليه، فيصبح الحاكم يحسب نفسه ظل الله على الأرض، كل هذا يشكل خطوة نحو الديمقراطية.

** ما الوسائل التي تعتبرونها أكثر فعالية للوصول إلى أهدافكم هذه؟

* كما سبق أن قلت، أن النظام الأوتوقراطي الديكتاتوري للسادات ومن بعده حسني مبارك هو نظام عنيف لا يقاوم إلا بالعنف المضاد، ونحن نقوم بالعنف المضاد بكل الوسائل الممكنة والمتيسرة لدينا.

** هل تعتبرون أن المعركة مع النظام الحالي هي ذات طابع داخلي بحت أم انها تتخطى ذلك؟

* المعركة الأساسية هي إقامة الديمقراطية، ومعركتنا نحن ضد هذا النظام هي معركة الديمقراطية، لأننا اذ تمكنا من ارساء الديمقراطية تصبح كل المشاكل محلولة، وعلى سبيل المثال هناك اناس كثيرون يقولون عنا أشياء كثيرة خاصة حول كامب ديفيد اذا وصلنا إلى الحكم، كامب ديفيد هو نتيجة للنظام الديكتاتوري، ونحن لا نريد أن نقع بنفس الخطأ ونزور ارادة الشعب، اذا نجحنا في ارساء الديمقراطية فسنلجأ إلى الشعب ويقولوا له لماذا هم ضد كامب ديفيد، وسنتيح لمن أيدوا كامب ديفيد أن يقولوا للشعب لماذا هم مع كامب ديفيد، وكل واحد يأخذ حقه ونفس الفرصة في الرد في الاذاعات والتلفزيون والصحافة، ونستمر في هذا أسابيع وشهوراً

حتى يعرف الشخص العادي ما مزايا كامب ديفيد وما هي مضار وعيوب كامب ديفيد، ثم نسأل الشعب في استفتاء حر غير مزور، فاذا قال الشعب انه يريد كامب ديفيد فسأكون أول من يحترم ارادة الشعب، واذا قال الشعب لا. فمن واجبنا أن نلغي هذه المعاهدة، لأنها أولاً وأخيراً باطلة وهي أبرمت في ظروف تتنافي مع القانون الدولي، فهي عقدت أثناء احتلال الإسرائيليين للأراضي المصرية، وهذا في حد ذاته - ووحده - يبطل الاتفاق من الناحية الدولية، أن من حق كل دولة أن تلغي أية معاهدة تعتقد انها ليست في مصلحتها، واذا كان السادات قد ألغي المعاهدة المصرية - السوفياتية فنحن من حقنا أن نلغي المعاهدة الخاصة بكامب ديفيد اذا تأكدنا من أن الشعب يرفض هذه المعاهدة باستفتاء حر.

بياناتهم متناقضة

** الأوساط الرسمية في القاهرة حملت جماعة التكفير والهجرة مسؤولية اغتيال السادات، وهناك أوساط أخرى ألمحت إلى أن المخابرات الأميركية هي التي تقف وراء هذا الاغتيال، ما هو تعليقكم على ما تردد في هذا الشأن في محاولة لتصغير حجم هذه العملية وتصويرها وكأنها عملية معزولة عن كل تحركات المعارضة المصرية الوطنية؟

* إن السلطات المصرية في القاهرة تتخبط في بياناتها، فأول بيان أصدرته قالت فيه أن هذه العملية عملية خارجية معزولة عن جميع قوى المعارضة المصرية في الداخل أو في الخارج، وبعد ذلك أخذت تقول أن جماعة التكفير والهجرة هي المسؤولة، ومرة أخرى ذكرت البيانات من القاهرة أن هناك ٢٠٠ ضابط قد تم القبض عليهم، هناك تخبط وعدم معرفة للحقيقة، يحاولون تمويه هذه الحقيقة، واتهام جماعة التكفير والهجرة هو مقدمة لضرب المعارضة التي تنضم إلى التكفير والهجرة.

تعتقد الأوساط الغربية - وهو ما أعلنه وزير العلاقات الخارجية الفرنسي كلود

شيسون - أن غياب السادات يزيل عقبة أمام انهاء الخلافات العربية، فهل تعتقدون أن مجيء حسني مبارك يمكن أن يكون سبباً في المصالحة العربية؟

* لا أعتقد أن حسني مبارك سيكون رجل المصالحة العربية، لأنه أعلن منذ البداية وعدة مرات انه ملتزم بخط السادات وبخط كامب ديفيد، وقال نفس كلام السادات، وأعتقد أن هذا الكلام تحاول به الدول الغربية باسم أميركا تقليص قوى الدول العربية المناهضة لكامب ديفيد.

** قدمت السعودية باسم الأمير فهد مشروعاً للسلام، فهل تعتقدون أن هذا المشروع الذي سمى بالسلام المضاد يشكل بديلاً لاتفاقيات كامب ديفيد، وهل توافقون عليه؟

* مشروع الأمير فهد قد لا يكون المشروع المثالي الذي كانت تطمح اليه كل القوى العربية، ولكننا نعتقد أن هذا المشروع فيه الكثير من الجوانب الايجابية التي لا يمكن انكارها، ولذلك فاننا يمكن أن نعتبره كأساس لطرحه على الدول العربية، فاذا وافقت عليه كان به واذا أدخلت عليه بعض التعديلات لتجعله أكثر قبولاً، (وهذا موضوع يخص الدول العربية ككل لا يخص دولة واحدة) يكون المشروع بداية لحوار على المستوى العربي، في أية حال هذا موضوع تبحثه الدول العربية ككل. ولكنني أعتقد أن أميركا لا تؤيد أي مشروع لا توافق عليه إسرائيل، وحسب ما أعرف أعتقد أن أميركا وإسرائيل لن توافقا على المشروع.